



الباحث في كلمات

الاسم : فريد مصطفى سلمان .

تاريخ ومكان الميلاد : ١٩٤٧م - نابلس .

المؤهلات العلمية : الليسانس - كلية الشريعة - الجامعة الأردنية - ١٩٧١م .

الماجستير - كلية أصول الدين - جامعة الأزهر - ١٩٧٩م .

وموضوع الرسالة (منهج القرآن الكريم في عمارة الأرض) .

الدكتوراه - كلية أصول الدين - جامعة الأزهر - ١٩٨٢م .

وموضوع الرسالة (محمد عزة دروزه وتفسير القرآن الكريم) .

العمل الحالي : أستاذ مساعد بقسم القرآن وعلومه بالكلية .

أهم البحوث والمؤلفات : * مجموعة مقالات في المجلات .

* هناك بعض الكتب قيد الإعداد والتأليف .

منها : تحقيق المجلد الأول من عقائد الدروز . وهو مجموعة

رسائل تبدأ (بالسجل العام الذي وجد معلقاً في غيبة الحاكم

بأمر الله) .

يمكن القول إن التفسير في العصر الحديث قد اتخذ ألواناً وأشكالاً متعددة بحيث أصبح صورة لما عليه المسلمون من اختلاف المشارب والأهواء، ولما لم تكن هناك سلطة رسمية أو أدبية بحيث تقف في وجه هذه المحاولات الجديدة التي اتسم الكثير منها بالإرتجالية والفوضى وخاض في هذا العلم كل باعق وناعق وهرفوا بها لم يعرفوا فقد بلغ السيل الزبى واختلط الحابل بالنابل والتف الحبل على الغارب بحيث شوّحت الحقائق وطغت الزيوف.

ولا يمكننا في هذه العجالة أن نقوم التفسير في العصر الحديث ونبين عجزه وبجره وماله وما عليه، ولكن ستتعرض إلى ظاهرة خطيرة لم تلق اهتماماً كافياً من عامة علماء المسلمين وخاصّتهم ألا وهي ظاهرة إعادة ترتيب السور القرآنية تحت ما يسمّى بالتفسير وفق أسباب النزول.

والملفت للنظر أن هذه الدعوة بدأت على أيدي المستشرقين مع منتصف القرن التاسع عشر للميلاد ومن هؤلاء المستشرقين (غريم) الذي اعتمد على الروايات والأسانيد الإسلامية في ترتيبه لسور القرآن ولكن دون تمحيص لصحيح الروايات من سقيمها، وكان أحياناً لا يحترم الروايات الصحيحة التي اشترط على نفسه الأخذ بها كما ذكر في منهجه^(١).

كما ظهرت محاولة (وليم موير) الذي اعتمد كثيراً على معلوماته التاريخية وتبعه (ويل) الذي أتم محاولته سنة ١٨٧٢م وكذلك (بلاشير) و (نولدكه) و (رودويل) وغيرهم^(٢).

(١) مباحث في علوم القرآن ص ١٧٥ صبحي الصالح .

(٢) مباحث في علوم القرآن ص ١٧٧ صبحي الصالح .

وقد وصل تأثير المستشرقين هذا إلى بعض البلاد الإسلامية فأخرج (ميرزا أبو الفضل) نصاً للقرآن الكريم في ترجمة إنجليزية على الترتيب الزمني وذلك في الهند سنة ١٩١١م كما وصلت هذه الأفكار إلى مصر وكان لها دعائها الذين تتلمذوا على أساتذة الاستشراق ونهجوا منهجهم . ومن هؤلاء الدكتور زكي مبارك الذي كتب في مجلة الرواية الأسبوعية بتاريخ (٦ نوفمبر) سنة ١٩٣٥م في مقام الثناء على كتاب تفصيل آيات القرآن الكريم ما يلي : (وصدور هذا الكتاب أنقذني من ورطة كنت معرضاً لعواقبها المضجرة فقد فكرت منذ أعوام للدعوة إلى ترتيب المصحف ترتيباً جديداً يساير موضوعات القرآن وكنت أخشى الاصطدام بالرأي العام الذي لا يقبل تغييراً للترتيب الذي جرت عليه المصاحف منذ عهد عثمان رضي الله عنه ، وكانت حاجتي أن المصحف رتب بعد وفاة الرسول فليس من المحتوم أن يبقى على ترتيب واحد طول الزمن^(٣) .

ويبدو أن هذه الأفكار بقيت تعتمل في نفوس المستشرقين ومن تأثر بهم حتى أصبح للهمس صدى فظهر مفسران في فترة زمنية واحدة وضعاً تفسيريها على خلاف ترتيب المصحف المعهود بل جعل كلٌ منهم تفسيره وفق ترتيب أسباب النزول على ما تصوّره وترجح عنده أو ما رجّحه بالقرائن الظنية والاجتهاد الشخصي .

وأول هذين التفسيرين هو التفسير الحديث لواضعه «محمد عزة دروزه» صاحب التصانيف العديدة في الدراسات القرآنية والتاريخية ولقد طبع تفسيره سنة ١٩٦٣م لدى مؤسسة إحياء التراث العربي بالقاهرة ولقى هذا التفسير ردود فعل متباينة مع بداية صدوره ونفدت طبعته من الأسواق في فترة زمنية قصيرة ويعمل الآن على إعادة طبعه من جديد^(٤) .

(٣) انظر مقدمة الطبعة الثانية لكتاب تفصيل آيات القرآن الكريم ، ترجمة : محمد فؤاد عبد الباقي .

(٤) محمد عزة دروزه : فلسطيني الأصل من مواليد ١٨٨٩م عاش حياته في سوريا ومات فيها . وقد انتقل إلى سوريا قبيل الحرب العالمية الثانية بعد اشتداد الخطب في فلسطين وسجن في سوريا ثم نفي إلى تركيا وألف كتاب (تركيا الحديثة) أثنى فيه على ما فعله أتاتورك هناك . وللرجل تاريخ سياسي مشوش إذ كان عنصراً فعالاً في جمعية العربية الفتاة وعلى علاقات وطيدة بكبار رجال السياسة والحكم .

والملفت للنظر أن البعض يرى في تفسيره إتجاهاً سلفياً لأنه يثنى على الإمامين ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب —

ومن الجدير بالذكر أن أصل الفكرة كما يروها المفسر كانت اعتماداً على مصحف طبع بالقاهرة لدى مطبعة الشمرلي وذكر في بداية كل سورة أنها نزلت بعد سورة كذا وأنها مدنية أو مكية إلا الآيات كذا في بعض الأحيان.

وقام بتدوين هذا الترتيب المذكور في بدايات سور المصحف واعتمد على ترتيبات أخرى ذكرها السيوطي في الإتقان والخازن في مقدمة تفسيره وكان المفسر يعمد إلى إعمال رأيه الشخصي في تقديم نزول هذه السورة أو تأخيرها ولا يلتزم تماماً بما ذكر من ترتيبات سابقة بحجة أن هذا الترتيب المشار إليه يخالف سياق الآيات أو مضمونها أو أن أسلوب هذه الآيات يخالف ما ورد بشأن نزولها حتى لو وردت الرواية في الصحيحين^(٥).

ولقد صرح بهذه الطريقة في بداية تفسيره إذ قال: «وهناك أربع سور ذكر المصحف الذي اعتمدناه أنها مدنية وهي الزلزلة والإنسان والرحمن والرعدي حين أن مضمونها وأسلوبها يشابهان كل المشابهة للسور المكية دون السور المدنية وأن هناك روايات تذكر أنها مكية ولذلك فسرناها في عداد السور المكية^(٦)».

وهو عندما يورد سبب نزول سورة المسد كما جاءت في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه لما نزل قوله تعالى:

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾.

ولكن غاب عن ذهن هؤلاء ما سار عليه المفسر في تفسيره في آيات العقيدة والأحكام بل والمنهج العام في تفسيره ومؤلفاته وقد زادت عدد مؤلفاته عن الخمسين مصنفًا في الدراسات القرآنية والتاريخية.

والتفسير الثاني هو (بيان المعاني) لوضعه عبدالقادر مسلاً حويش وهو سوري الجنسية من أصل كردي وطبع تفسيره لدى مطبعة الترقى بدمشق سنة ١٩٦٣م واتجاهه الغالب عليه التصوف. ولنا عودة إلى هذا التفسير في فرصة أخرى بإذن الله.

(٥) لا يخفى مخاطر هذا النهج على كل ذي بصيرة فهو تحكيم للرأي المجرد والاستنتاج والتخمين. وقد أرشد عليه الصلاة والسلام أن (من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ) أخرجه أبو داود في سننه جـ ٢ ص ٢٨٧، انظر شرح السنة للبعوي جـ ١ ص ٢٥٩ وليس المراد من الحديث إنكار التفسير بالرأي المحمود. ولكن إنكار الرواية الصحيحة بدعوى السياق والمضمون والانسجام فهذا أمر خطير.

(٦) مقدمة التفسير الحديث ص ١٦ محمد عزة دروزه.

خرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فاجتمعوا إليه فقال: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي.

قالوا: ماجربنا عليك كذبا. قال فإني نذيركم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تباً لك ألهذا جمعنا ثم نزلت السورة^(٧).

فإننا نجد المفسر يعقب على هذه الرواية بقوله: إن مضمون هذه الرواية يفيد أن هذه السورة نزلت في بداية الجهر بالدعوة وهذا بعيد. لأن أبا لهب كان عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد زوج رسول الله ابنته من ولد أبي لهب ولا يمكن أن يتأخر الرسول في عرض الدعوة على عمه حتى هذه الفترة المتأخرة^(٨).

ويستمر الأستاذ دروزه في ردّه للروايات الصحيحة معتمداً على النظر والأسلوب والانسجام فنجد في سورة المدثر يقول: إن أسلوب آيات السورة وانسجامها يسوغ القول أنها نزلت دفعة واحدة أو متلاحقة وحينئذ يكون ترتيبها كرابيع سورة غير صحيح^(٩).

وفعل نفس الشيء في معرض تفسيره لسور الليل والأعلى والإسراء والقصص والواقعة وطه ويّس وغيرها.

ونجده في تفسيره لقوله تعالى:

﴿والشعراء يتَّبِعُهم الغاؤون * ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾^(١٠).

يذكر الروايات التي تقول إن هذه الآيات مدنية ويعقب عليها بما يلي:

(٧) فتح الباري ج ٨ ص ٤٠٦ (متن البخاري)، شرح صحيح مسلم للنووي ج ١ ص ١٣٤ (متن مسلم).

(٨) التفسير الحديث ج ١ ص ١٢٣.

(٩) التفسير الحديث ج ١ ص ٦١.

(١٠) سورة الشعراء الآيات ٢٢٤، ٢٢٧.

«إن هذه الآيات منسجمة مع سياقها سبكا وموضوعا مما يحمل الشك في صحة الرواية، أما الآية رقم ٢٢٧ وهي قوله تعالى :
﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ .
فإن مضمونها يزيد صحة مدنيته وقد ألحقت بالآيات بعد ذلك^(١١) .

فهو يرى أن ذم الشعراء كان بمكة ولكن عندما قام شعراء المسلمين بالرد على المشركين في العهد المدني جاءت الآية تستثنى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بعد تلك الفترة الزمنية الطويلة .

وهو بهذا القول يرد روايات صحيحة أخرجها الحاكم وابن جرير الطبري وابن أبي حاتم تفيد أن هذه الآيات متصلة قد نزلت بالمدينة بعد أن تهاجى شاعر من الأنصار مع شاعر من قوم آخرين وكادت أن تحصل فتنة بسبب ذلك . وفي رواية الحاكم أنها نزلت عندما جاء عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن نزل قوله تعالى :
﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ .
فقالوا : لقد هلكنا يا رسول الله .
فنزل قوله تعالى :

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ . . . الآية﴾^(١٢) .

ويتضح من رواية الحاكم أن نزول الآيات واستثناء الشعراء المؤمنين منها إنما كان في العهد المدني وذلك في فترة زمنية متقاربة .

أما أن يذم الله سبحانه وتعالى الشعراء في مكة ثم يأتي الاستثناء في المدينة بسبب الحاجة الطارئة حينئذ فهذا فهم بعيد ومتكلف .

ويسير الأستاذ دروزه على هذا الخط في ردّه للروايات الصحيحة الصريحة بالظن

(١١) التفسير الحديث ج ٣ ص ١٤٩ .

(١٢) أسباب النزول ص ١٠٨ السيوطي .

والتخمين المجرد ولا يمكن حصر الأمثلة في هذه العجالة ولكن سنحاول أن نبين أنه حتى في حال اعتياده على السنة فإن يُغرب في فهمه ويحملها على غير حملها السليم فهو يذكر^(١٣) سبب نزول سورة الجمعة كما أخرجها البخاري ومسلم ويورد الرواية عن أبي هريرة رضى الله عنه حيث قال^(١٤): «كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أنزلت عليه سورة الجمعة فتلاها فلما بلغ (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) قال له رجل: يا رسول الله: من هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا؟ فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلمان الفارسي فينا فوضع يده عليه وقال: والذي نفسي بيده لو كان الإيمان بالثريا لناله رجال أو رجل من هؤلاء».

ففهم الأستاذ دروزه من أول الحديث في قول أبي هريرة حيث أنزلت عليه سورة الجمعة أنها نزلت كلها دفعة واحدة ونفى الرواية الصحيحة التي وردت في صحيح البخاري والتي أشارت إلى أن الآيات الأخيرة من سورة الجمعة قد نزلت في نفر من المسلمين تركوا الاستماع إلى خطبة الجمعة وانصرفوا للقاء إحدى القوافل التجارية^(١٥).

ولا يخفى أن التعارض بين الروایتين غير موجود ولا يمنع أن يكون قوله حين أنزلت عليه سورة الجمعة، أى نزل بدايتها فالمراد بنزول السورة هنا هو نزول معظمها وإذا نزلت آيات أخرى فإنها تلحق بها وهذا أمر يشاهد في كثير من الروايات التي تتحدث عن نزول السور.

ويمكن القول اعتماداً على هذه الأمثلة وعلى غيرها أن الأستاذ دروزه كان من أجراً المفسرين قديماً وحديثاً على رد الروايات الصحيحة الصريحة وتأويلها بما يوافق رأيه وهواه. فهو لا يتورع عن إنكار الروايات الصحيحة التي أجمع عليها العلماء لمجرد وهم عرض له، والحق أنه في هذا الميدان ليس وحيداً فهو استمرار لمدرسة محمد عبده

(١٣) التفسير الحديث ج ٨ ص ٢٢٦.

(١٤) فتح الباري ج ٨ ص ٦٤١ (متن البخاري).

(١٥) فتح الباري ج ٨ ص ٦٤٨ (متن البخاري) ولقد ظن المفسر أن هناك تعارض بين الروايتين.

في العصر الحديث التي أنكرت نصوصا من السنة بلغت حد التواتر^(١٦) وأولت آيات قرآنية كريمة عديدة تأويلا يخرجها عن المعنى المراد ويجعلها توافق أفكارهم وآراءهم التي اعتقدوها مسبقا وطوعوا الآيات لها، وَلَوُوا أعناق النصوص لتوافق هوى النفوس .

ف نجد الأستاذ دروزه مثلا ينكر حادثة انشقاق القمر في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرى أن هذا في صدد يوم القيامة وتبدل نواميس الكون^(١٧) .

مع أن ابن كثير قد صرح بإجماع المسلمين على وقوع انشقاق القمر في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وذكر بأن الأحاديث تواترت من طرق متعددة وأفادت القطع عند من أحاط بها ونظر فيها^(١٨) .

ونجده كذلك ينكر الروايات الصريحة التي أخرجها أحمد والترمذي والحاكم وابن مردويه^(١٩) في أسباب نزول سورة المائدة ويعقب على ذلك بقوله : (وهذه الأحاديث تثير العجب فالسورة تحتوى فصولا متعددة متنوعة وفحواها يلهم بقوة أنها نزلت في فترات مختلفة متفاوتة^(٢٠) .

وليس في الأحاديث غرابة ولا عجب ولكن قلة الدراية أو سوء النية توقع الإنسان فيها هو أغرب وأعجب .

هذا هو منهج الأستاذ دروزه في الحكم على أسباب النزول حيث أهمل الرواية

(١٦) عندما سئل محمد عبده عن أحاديث الدجال قال : هي رمز الخرافة والدجل .

وأنكر الشيخ شلتوت نزول عيسى في آخر الزمان في كتاب الفتاوى . علما أن الشوكاني قد وضع كتابا بعنوان . (التواتر الصريح في أحاديث الدجال والمسيح) .

(١٧) التفسير الحديث ج٢ ص ٦٢ .

(١٨) تفسير ابن كثير ج٤ ص ٢٦٠ ، البداية والنهاية ج٣ ص ١١٨ .

(١٩) انظر مسند أحمد ج٥ ص ٤٥٢ وسنن الترمذي ج٤ ص ١٩٩ والمستدرک ج٢ ص ٣١١ وقال : صحيح على شرط الشيخين .

(٢٠) التفسير الحديث ج١١ ص ٤ .

واعتمد على النظر المجرد وجعل السياق والمضمون وانسجام العبارات وتربطها أساسا لإعادة ترتيب المصحف من جديد بدعوى تلمس ظروف تنزيله وتتبع مراحل هذا التنزيل .

ولا يخفى على أحد أن إعادة ترتيب كتاب الله بدعوى التفسير ومخالفة ما أجمعت عليه الأمة خلفا من بعد سلف بل مخالفة ما أرشد إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بصريح العبارة وبدلالة الإشارة هو عمل يتنافى مع أبسط مقتضيات الإيذان بغض النظر عن الدوافع التي تقف وراء مثل هذا العمل من خير أو إفساد .

وقد نقل الزركشي في البرهان عن القاضي أبي بكر أن من أفسد نظم القرآن فقد كفر به^(٢١) . والملفت للنظر أن من أجاز اتباع مثل هذه الطريقة^(٢٢) اعتمد على شبهتين اثنتين . أما الأولى منها فهي أن هذا العمل يقصد منه التفسير وليس التلاوة ، فالمصحف المتلو كما هو مثبت الآن لا يجوز المساس في ترتيبه من وجهة نظرهم ، أما إذا كان الغرض التفسير فيجوز أن تقدم سور على أخرى لحكمة يريدتها المفسر ويجوز أن يغير ترتيب المصحف لهذا الغرض . ومع ما في هذا الكلام من عجب في ظاهره فإنه عند التمهيص في غاية التهاافت فالتفسير للمصحف كاملا وهو إعادة لترتيب هذه السور وفق اجتهاد ظني بالرأي والنظر دون الاعتماد على مستند شرعي صحيح .

ودعوى التفريق بين مصحف التلاوة والمصحف المفسر يفتح الباب أمام العبث بكتاب الله وفق الأهواء والشهوات .

أما الشبهة الثانية فهي أن ترتيب السور في المصحف كان باجتهاد من الصحابة رضوان الله عليهم وقد كانت مصاحف الصحابة مختلفة في ترتيب السور فيها قبل أن يقوم عثمان رضي الله عنه بجمع المصحف .

(٢١) البرهان في علوم القرآن جـ ١ ص ٢٦٠ .

(٢٢) استفتى الأستاذ دروزه بعض العلماء في جواز مثل هذه الطريقة فمنهم من تحفظ وتوقف ومنهم من أجاب بالجواز وقد أجاب بالجواز الشيخ أبو اليسر عابدين والشيخ عبد الفتاح أبو غدة وقد أثبت المفسر ذلك في مقدمة التفسير . وعندما راجعت الشيخ عبد الفتاح في هذه المسألة قال إنه أعطى رأيه دون إطلاع على التفسير وأنه لا يجد حرجا في الرجوع عن رأيه إذا اتضح لديه الدليل . وقد صرح بعدوله عن رأيه بعد مراجعتي له .

ونقول إن الشبهة غير مسلمة لهم فكتاب الله الكريم بآياته وسوره مرتب بتوقيف^(٢٣) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين قالوا إن الأمر كان باجتهاد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢٤) فإنما قصدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رمز لهم بدلالة الإشارة في ترتيب هذه السور وقد بين ذلك الزركشي في كتابه البرهان حيث قال^(٢٥): «إن من قال إن ترتيب السور في المصحف كان باجتهاد من الصحابة رضوان الله عليهم أراد أنه لم يكن مأخوذاً من صريح قول النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا ينافي أنه مأخوذ من رمزه وإشارته به لأصحابه وكذلك من قال إنه بتوقيف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما قصد أن ذلك كان بتعليمه وإشارته بطريق الرمز والإشارة لا بصريح القول والعبارة».

وقد ذهب البيهقي والسيوطي وابن كثير في كتابه فضائل القرآن إلى أن ترتيب السور^(٢٦) في المصحف توقيفي إلا سورتي الأنفال والتوبة اعتماداً على الحديث الوارد في جمع القرآن الكريم حين سأل ابن عباس رضي الله عنهما عثمان بن عفان رضي الله عنه عن سبب إسقاط البسملة من أوائل سورة التوبة، فأجابه عثمان رضي الله عنه: كانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن الكريم نزولاً وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما بسم الله الرحمن الرحيم^(٢٧). وقد صرح كثير من العلماء أن ترتيب الأنفال وبراءة هو توقيفي أيضاً^(٢٨)، ولم يأخذوا بما خصّه هذا الحديث من عدم التوقيف في ترتيب الأنفال وبراءة. وقالوا إن هناك أدلة

(٢٣) انظر كتاب سلامة القرآن الكريم من العيوب للأستاذين أحمد السيد الكومي، محمد أحمد القاسم.

(٢٤) الإتقان في علوم القرآن ج١ ص ٦٢ السيوطي.

(٢٥) البرهان في علوم القرآن ج١ ص ٢٦٠ الزركشي.

(٢٦) روح المعاني ج١ ص ٢٧ الألوسي.

(٢٧) انظر تخريج الحديث في الفتح الرباني ج١ ص ١٥٥ وقال فيه حسنه الترمذي وصححه الحاكم وقد ذهب الشارح إلى موافقة صاحب المنار في عدم الاعتداد بهذا الحديث في هذا المجال.

(٢٨) لقد ذهب القرطبي إلى أن سبب عدم كتابة البسملة هو لأن جبريل لم ينزل بها فيعود ظاهر هذا القول إلى التوقيف (ج١ ص ٦٣ تفسير القرطبي).

صريحة أفادت أن ترتيب القرآن الكريم هو توقيفي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هؤلاء الأستاذ محمد رشيد رضا حيث صرح بأن هذا الحديث في أحسن حالاته يرقى إلى مرتبة الحسن . وقال فيه الترمذي حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث عوف ابن أبي جميلة عن يزيد الفارسي عن ابن عباس . ويزيد هذا غير مشهور اختلفوا فيه هل هو يزيد بن هرمز أو غيره . وسئل عنه يحيى بن معين فلم يعرفه ، وقال عنه أبو حاتم لا بأس به^(٢٩) .

وحتى لو سلمنا بوجهه نظر القائلين بأن هذا الترتيب كان باجتهاد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم قد أجمعوا على ذلك وإجماعهم لا يكون إلا عن مستند أفادهم علما وإجماعهم رضى الله عنهم حجة لا يصح العدول عنه ويؤكد ذلك أن الصحابة تركوا ترتيباتهم التي خالفت الإجماع ، كما أن هذه المصاحف لم تكن جامعة للمصحف وفيها إضافات للتفسير وكانت متناثرة غير متكاملة فلم تكن مصاحف بالمعنى المعروف .

ولو اعتمدنا على بعض الروايات الواردة عن بعض الصحابة في الزيادة أو الحذف في كتاب الله لفتحنا بابا واسعا للشبهات لن يغلق .

وإذا كان علماء المسلمين يؤكدون على ضرورة الحفاظ على رسم المصحف وشكله ونقطه فكيف يجوز أن ندعو إلى إعادة ترتيبه وتمزيقه ومعظم النار من مستصغر الشرر .

وقد صرح غير واحد من أئمة العلماء بأن ترتيب القرآن الكريم في اللوح المحفوظ هو على نفس ترتيبه الذي نقرأه في المصحف لأن الله قد تكفل لكتابه الحفظ من التغيير والتحريف والتبديل^(٣٠) . وقد أكد هذا المعنى الحافظ ابن

(٢٩) تفسير المنار ج٩ ص ٥٣٩ دار المنار القاهرة .

(٣٠) وقد ألقت كتب عدة في بيان أوجه الإعجاز في المناسبات بين آيات القرآن الكريم وسوره . ويترب على الإخلال

بهذا الترتيب المساس بوجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم .

ومن هذه الكتب :

١ - نظم الدرر في المناسبات بين الآيات والصور للبقاعي .

٢ - جواهر البيان في تناسب سور القرآن / الغفاري .

كثير في كتابه فضائل القرآن كما أيده عامة العلماء^(٣١).

ويبدو أن الذين أجازوا تغيير ترتيب السور في المصحف من أجل التفسير قد اعتمدوا على شبهة ثالثة وهي أن عليا رضي الله عنه قد وضع ترتيبا للمصحف وفق أسباب النزول.

وهذه الرواية وإن كانت مذكورة في بعض كتب التاريخ وتمسك بها بعض الشيعة وذكرها بإسهاب (جولد تسهير) في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي)^(٣١) وأسندها إلى مصادر مختلفة من كتب الشيعة وبعض كتب السنة ولكن الصحيح أنه لم يصح من هذه الروايات شيء. وإنما هي مجرد أقوال بلا دليل وما كل قول يعتبر إلا قولاً له حظ من النظر.

وحتى لو سلمنا جدلاً بصحة هذه الرواية فهي تدخل في مسألة اختلاف مصاحف الصحابة التي أجمعوا على تركها وإتباع المصحف المعهود. ولا يخفى على كل ذي بصيرة اهتمام (جولد تسهير) بهذه المسألة في محاولة منه لتشكيك المسلمين بسلامة النص القرآني.

وفي هذه العجالة لا يسعني إلا أن أحذر من مخاطر هذه الطريقة ومطالبة المسلمين جميعاً على اختلاف مواقعهم ومسؤولياتهم أن يقفوا في وجه كل محاولة تهدف إلى المسّ بكتاب الله عز وجل على اختلاف الدوافع والأسباب والغايات.

٣ - المناسبات في ترتيب الآيات والسور/ أبو جعفر بن الزبير الغرناطي.

٤ - المناسبات في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره / رسالة دكتوراه للأستاذ محمد أحمد القاسم.

وقد ورد فصل في كتاب «مقدمتان في علوم القرآن» بعنوان: «بيان أن القرآن تكلم الله سبحانه وتعالى به على هذا الترتيب الذي هو في أيدينا اليوم لا على ترتيب النزول (مقدمتان في علوم القرآن ص ٣٩ نشر آرثر جفري تصحيح عبدالله الصاوي القاهرة سنة ١٩٧٢ م.

(٣١) انظر الفتح الرباني ج ١ ص ٣٥ أحمد البنا.

(٣٢) مذاهب التفسير الإسلامي ص ٢٩٦ جولد تسهير مكتبة الحانجي القاهرة.

«المراجع»

- (١) الاتقان في علوم القرآن: لجلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المشهد الحسيني القاهرة سنة ١٩٦٧م.
- (٢) البداية والنهاية: الحافظ عماد الدين ابن كثير الدمشقي، دار الفكر بيروت.
- (٣) البرهان في علوم القرآن: الزركشي، عيسى البابي الحلبي، القاهرة سنة ١٩٧٢م.
- (٤) بيان المعاني: عبد القادر ملاً حويش، مطبعة الترقى دمشق سنة ١٩٦٣م.
- (٥) تفسير القرآن الكريم: ابن كثير الدمشقي، دار المعرفة بيروت - سبعة أجزاء -
- (٦) تفصيل آيات القرآن الكريم: جول لا بوم، ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي.
- (٧) التفسير الحديث: محمد عزة دروزه، دار إحياء التراث العربي القاهرة سنة ١٩٦٣م.
- (٨) تفسير المنار: محمد رشيد رضا، دار المنار القاهرة.
- (٩) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر.
- (١٠) روح المعاني: الألوسي، دار الفكر بيروت.
- (١١) سلامة القرآن الكريم من العيوب: أحمد السيد الكومي، محمد أحمد القاسم.
- (١٢) سنن الترمذي: أبو عيسى الترمذي، المكتبة الإسلامية بيروت.
- (١٣) شرح صحيح مسلم: النووي، دار الفكر بيروت.
- (١٤) الفتح الرباني بترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني: أحمد عبد الرحمن البنا، دار الشهاب القاهرة.
- (١٥) فتح الباري: ابن حجر العسقلاني، المطبعة السلفية القاهرة.
- (١٦) لباب النقول في أسباب النزول: جلال الدين السيوطي، مطبعة الملاح دمشق.

- (١٧) مسند الإمام أحمد: أحمد بن حنبل، دار المعرفة بيروت.
- (١٨) المستدرک: الحاكم، مطابع النصر الحديثة الرياض.
- (١٩) مباحث في علوم القرآن: صبحي الصالح، دار العلم للملايين بيروت سنة ١٩٧٤م.
- (٢٠) مذاهب التفسير الإسلامي: جولد تسهير (ترجمة وتعليق عبدالحليم النجار) دار الكتب الحديثة القاهرة.
- (٢١) مقدماتان في علوم القرآن: نشر أرثر جفري، تصحيح عبدالله الصاوي، مكتبة الخانجي القاهرة سنة ١٩٧٢م.